

تأليف ابن رشيق

— من محاضرة الاستاذ عبد العزيز الراجكوتى —

(١) كتاب العمدة فى صناعة الشعر ونقده — اسمه عنوانه « ان الجواد عينه فراره » تأليف راوية ناقل وجيِّد بصير على الشعر والشعراء . وان كان ابن المعز وقدامة الكاتب والقاضى الجرجاني وأبو الهلال العسكري وغيرهم قد موه الى وضع كتبهم فى هذا الشأن إلا أن استيفاء المباحث وتفريع الابواب والتنويع والنقد والتزييف والجرح والتعديل مع رعاية الانصاف واستيعاب جملة من أدوات الكتاب والشعراء والمواد اللازمة لهم لا يشارك كتاب صاحبنا فيها . أى كتاب . ذكره ابن خلدون ^(١) فى عدة مواضع من مقدمته : قال فى موضع منه بعد ذكر أن قرض الشعر وصنعتة لا بدله من النشاط وفراغ الخاطر :

ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة واعطاه حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله
ثم قال بعده بقليل :

وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى فى كتاب العمدة لابن رشيق
قال صاحب البساط والمهدة عليه انه صنعه قبل سنة ٤٢٠ هـ أقول وفى العمدة ^(٢) « ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولي اليه (الى المعز) أدام الله عزه عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا ثم سرد أبيتاً منها قوله :
الى الملك المعز أبى نعيم أمر بن سواه فلا أعيج

وهذا يقتضى أن يكون صنعه بالمهدية بعد السنة ٤٤٩ هـ وهى سنة انجلاء المعز الى المهديه فيكون أتم الامتزج وقراءة الذهب بالمهدية أو صقلية . اللهم إلا

(١) مصرسة ٨١٣١١ ص ٣٥٤ و ٣٧١ و ٣٧٢ الى غيرهما (٢) ١ - ١٥٤

أن يكون أضاف هذه العبارة فقط بالمهدية . كما سير بك أن بعض الناس ادعى عليه أنه سرق من كتاب له عدة أبواب وضمنها العمدة . ودعواه هذه مذكورة في العمدة فلا محيص إذن من أن يكون ألحقها بعد الاتمام والله تعالى أعلم واختصره الصقلي^(١) وسماه المدة كما في كشف الظنون . واختصره^(٢) موفق الدين البغدادي أيضا . قال ابن الأبار في كتاب التكملة لكتاب الصلة في ترجمة أبي بكر بن سراج النحوي « محمد بن عبد الملك^(٣) الشتريني يعرف بابن السراج ويكنى أبا بكر وله اختصار في كتاب العمدة لابن رشيقي وتنبيه على أغلاطه فيها توفي بمصر سنة ٥٤٥ هـ » ولا يذهبن عليك أن يكون أمثال هذا النقد يخفف من شأن الكتاب شيئا . بل يدل على رغبة العلماء فيه والبحث عن فرائده والمحرص على تهذيبه مما يشين حتى لا يبقى نثرة لكل قاص ولقى بين يدي كل لاقط . وهذا حمزة الاصفهاني صنف كتابا في تصحيح العلماء وعلى بن حمزة البصري أخذ على المبرد في كتابه وأبى حنيفة في نباته ويعقوب في إصلاحه إلى غيرهم . وكذا أبو عبيد البكري صاحب اللآلئ في شرح أمالي القالي صنف في التنبيه^(٤) على أغلاطه كتابا مفرزا

طبع العمدة أولا بتونس سنة ١٢٨٥ هـ الجزء الأول فقط . ثم طبع في مصر بتمامه سنة ١٣٢٥ هـ وزعموا أنهم عارضوه على ثلاث نسخ . وبالمكتبة الملكية في مصر منه نسخة جيدة

(١) هو أبو ممر عثمان وقد ذكره ياقوت في ترجمته ٤١٠ هـ . وقال صاحب البساط (ص ٨٨) أنه العلامة ابن القطاع [صاحب الافعال استاذ ابن بري] وأن العمدة شرح وليس باختصار (٢) الكشف رسم العمدة والفوات ٨: ٢ (٣) ١: ١٩١ والمعد ٦٦٠ من طبعة مجريط عاصمة اسبانيا (٤) هو من نقائس الخزنة التيورية بالقاهرة . وقد وصف بالشرق ١٩١ - ٢٠٠ سنة ١٩٢٠ م

ويبحث ابن رشيقي في آخر كتابه هذا عن عدة فنون من فنون الادب حتى يصير كتابه قائما بنفسه كباب الانساب وما يتعلق بها وباب أيام العرب وباب معرفة ملوك العرب وباب الخليل ومنذ كوراتها وباب أغاليط الشعراء والرواة (وهذا الباب مستوفى في كتاب الصناعتين والوساطة أيضا) وباب منازل القمر وأنواعها وباب الاماكن والبلدان إلى غير ذلك من أبواب الفنون اللازمة للاديب

وذكر في العمدة ^(١) أن بعض الناس عاب عليه السرقة عنه في العمدة وهاك لفظه « وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب ولا يستحي من فضيحة زعم أني أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب - ولو مثل عنها الآن ما عليها والامتحان يقطع الدعوى كما قال بعض الشعراء :
من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

وكنيت غنيا عن نهجين هذا الكتاب بالاشارة الى من أشرت اليه أنفاً من ذكره وعزوقاً بهمي عن الانحطاط الى مساواته ولكن رأيت السكوت عجزاً وتقصيراً . اهـ

(٢) أمودج الزمان في شعراء قيروان - هذا الكتاب لم أجده ذكره في فهراس خزائن الكتب العمومية - الا أن من تقدمنا قد عثروا عليه وأخذوا منه واقتبسوا من نوره - ويشرب به في العمدة ^(٢) ولفظه في باب التكسب بالشعر والافتة منه « وهذا الباب قد احتداه الكتاب في زماننا هذا إلا القليل وقوم من شعراء وقتنا أنا أذكرهم في كتاب غير هذا » وذاع الكتاب وسار مسير الشمس في الاقطار ورأيت ابن البار صاحب التكلة وابن منظور صاحب نثار الأزهار والأزدي صاحب البدائم والسيوطي وغيرهم وهم كثيرون

يجتنون من أزهاره ويمشون الى أنواره - ومن إعرازه وعدم وصول الايدي الى مرادها منه ذكرت فيما مرَّ (ص ٢١٠-٢١١) فهرساً سردت فيها ما عثرت عليه من تراجم أدباء القيروان مأخوذة من تأليف من عثروا عليه . فكأنني أحيت منه بصنعي هذا جزءاً فله الحمد على ذلك . وقد اطلمت بعد وضع ذلك الفهرس على أسماء رجال آخرين من ادباء القيروان ورد ذكرهم في الامتوزج علي ما نقل عنه في الكتب الآتي بياتها :

أبو بكر عتيق بن محمد النيمي الوراق . من الامتوزج . الفوات ٢ : ٢٩
بكر بن علي الصابوني . من الامتوزج . الفوات ٢ : ٨٠

عبد الرحمن بن محمد القرشي . من الامتوزج . الفيت للمسجم ١ : ٢٣٠
عبد الله بن رشيق المذكور عن الامتوزج . فنج الطيب مصر ٢ : ٢١ أيضاً
عبد العزيز بن خروف الجروي . نثار الازهار ٢٠
محمد بن ابراهيم . نثار الازهار ٢٠

(٣) قُرَاضَةُ الذهب في نقد أشعار العرب . قال فيه ابن خلكان (١) « وهو لطيف الجرم كبير الفائدة » وعثر عليه ابن الأبار أيضاً وقد قل كلاهما عنه أن ابن هانيء توفي سنة ٣٦٢ هـ إلا أن ابن الأبار قدّم قول سنة ٣٦١ هـ كما هو في الاحاطة (٢) لابن الخطيب - ذكره أيضاً في العمدة (٣) ولفظه :

« باب المعاني المحدثنة - ولكنني أفرد له [ما شارك فيه المتأخرون المتقدمين من المعاني وما اختص به جماعة دون أخرى] كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون وما شاركهم فيه المتقدمون » و يوجد منه نسخة في ٤٦ ورقة بالمكتبة الملية في باريس وعدده في فهرستها ٣٤١٧ (لا ٣٣١٧) كما زعم صاحب المقالة في دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية وهو ككتوب الى

أبي الحسن علي بن أبي القاسم اللواتي وأوله « أما بعد امتع الله اخوانك ببقائك
وكفاهم الأسواء فيك وجعلني من بينهم الفداء لك . ا هـ » بحث فيه عن سرقات
المتقدمين والمتأخرين من الشعراء

(٤) كتاب الشذوذ في اللغة - جمع فيه شواذ كل باب ككتاب ليس لابن
خالويه . قال صاحب البساط ثم شرحه بنفسه

(٥) ديوان شعره - قال ابن خلكان ^(١) في ترجمة ابن يعيش شارح المفصل
« وكان الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد منسوباً إلى أبي علي الحسن
ابن رشيق المقدم ذكره ثم كشفت ديوانه فلم أجد هذه الأبيات فيه » (ثم
سردها وهي عينية انظرها في التنف) أقول وكذا نقل ياقوت في ترجمة ابن
رشيق بعض هذه الأبيات من فسخ الملح وقال إنني لم أقف على تمامها - مع أنها
بتمامها مسطورة في العمدة (٢ : ١٣١) ومنه يعلم أن الديوان ليس فيه جميع
شعره والله أعلم . ويوجد بمكتبة اسكوريال مجموعة فيها شيء من شعره وشعر مبيار
الدليلى وأبي الحسن الصقلي وابن الحكاك المكي تأليف أبي محمد عبد الله بن
يحيى بن حمود الحزيمي (كذا) - والمجموعة تحت عدد ٤٦٧ في فهرستها جمع
دربورغ وذكرها أماري أيضاً في مجموعة نوارنج صقلية (ص ٦٨٠)

(٦) ميزان العمل في تاريخ الدول قال الحاج خليفة أنه عد فيه أيام الملوك فحسب

(٧) شرح موطأ مالك كما في الكشف

(٨) تاريخ قبيروان على مافيه أيضاً

(٩) الروضة الموشية في شعراء المهدي - كما في البساط -

(١٠) كتاب المساوي في السرقات الشعرية كما فيه أيضاً

(١١) مختصر الموطأ على ما في البساط . ولا يبعد أن يكون صاحبه ظن

شرح الموطأ مختصراً له -

(١٢) أنموذج اللغة

وهذه رسائله في الرد على أهل عصره :

(١٣) رقم الاشكال ودفن المحال

(١٤) صاحب الكلب

(١٥) نخب الطلب

(١٦) قطع الانفاس

(١٧) فسخ المالح ونسخ الملح وقف عليه ياقوت كما مر^(١)

(١٨) نقض الرسالة الشاذية والقصيدة الدعية

(١٩) الرسالة المنقوضة^(٢)

وقتل صاحب البساط عن الصلاح الصمدى قوله « وقفت على هذه المصنفات والرسائل جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقل »

﴿ الإلمام بيمض أوهامه ﴾

لم يكن من غرضنا ههنا أن نتدبسطاته أو نثني عليه عثراته إلا أن الانسان وإن بلغ نهاية الكمال فلا بد له من عيب يقيه من العین الا من عصمه الله . وقد قالوا اللبيب من عدت سقطاته ، ولكل عالم هفوة كما أن لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . وحسبك أنى لم أجد من هذا الباب في كتاب العمدة الا ثلاثة وباب التأويل يدافع عنه إن ملنا إليه :

(١) فصل المضاف بين المضافين . قل^(٣) عن شيخه عبد الكريم في عبارة « هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف » ولم ينب عليه غلطه ولا اعتذر عنه . وهذا أى إيراد المضافين على مضاف إليه مما لا يجوز ألبتة في النشر قال سيبويه^(٤)

(١) هذه الرسائل الخمس من الفوات ٢ : ٢٠٤ في ترجمة ابن شرف (٢) هانان الرسائلان من البساط (٣) السدة ٢ : ٩٤ (٤) طبعة بولاق ١ : ٩٠ - ٩٢

« ومما جاء في الشعر قد فصل بينه وبين المجرور [وأنشد شواهد ثم قال] وقول الأعشى :
إلا عِلالةٌ أو بدا . هـ قارح نهْدِ الجزارة
فهذا قبيح ويجوز في الشعر على هذا « مررتُ بخيرٍ وأفضلِ مَنْ نَمَ » ...
وقال الفرزدق :

يا من رأى عارضا اسرَّ به بين ذراعَيَّ وجبهة الأسد

ومثله في المفصل وشرحه لابن يعيش وجمهرة كتب العربية

(٢) الخطأ في الرواية - أبيات سيف الدولة الضادية المشهورة في وصف قوس قُزَحَ وألوانها له حقا كما عزاها اليه الثعالبي في كتابين له والتبريشي^(١) ولفظ الثعالبي في البيتة^(٢) « أنشدني أبو الحسن محمد بن محمد الافريقي المنيتم لسيف الدولة في وصف قوس قزح وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتة اه »
الأن صاحبنا عزاها في عمدته^(٣) الى ابن الرومي . وظاهر أن الثعالبي أقدم منه عصرا وأقوم بشعر المشاركة ضبطا وذكرا ، فتقوله القول إذن

(٣) الخطأ اللغوي - السيف المشرقي منسوب الى مشارف الشام أو اليمن أو الى مشرف (وفي ضبطه خلاف) قرية باليمن أوقين راجع هذه الاقوال منفصلة في معجم ما استعجم ومعجم البلدان في رمي مشارف ومشرف - إلا أن صاحبنا خالف جمهور العلماء وقال في عمدته^(٤) « سيف مشرق منسوب الى مشرف وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها . وليس قول من قال انها منسوبة الى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء وإن قاله بعضهم » ولم يبين لنا دليله وأما السيوف فكانت تنسب الى الهند للمعادن والي اليمن للعمل والي الشام أيضا كما قال الحماسي :

صنَّاعُ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا وَمَطَرْدَا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مُبْهَمَا

ومعلوم أنهم يردون الجوع إلى وزان المفرد في النسبة فلم أدرك وجه انكاره
الا أنني لست الآن بصدد التحقيق اللغوي ، فنعال أيها الناظر في كتابه حتى
أريك أنه لم يبدأ بنفسه في الاثثار وجري على المشهور بالاغترار ، حيث
أنشدنا في عمدته ^(١) أيضا من مطربات أناشيده بيتا :

وقد نازعت فضل الزمام ابن نكبة هو السيف لا ما أخلصته المشارف
فقوله « وليس قول من قال الخ » هذا القائل هو ابن أخت خالته . رحمه
الله رحمة واسعة ، ورزق جفرته شبيب هامة هامة . انه قريب بحبيب

متفرقات لغوية

« والبحث فيها على طريقة عقلية ، وفقاً للمبادئ الفيلولوجية »

﴿ أصل نون الوقاية ﴾

هذه النون تلتحق ما يأتي :

(اولا) الفعل اذا اتصل بياء المتكلم لتغي آخره من الكسر كقولك نظارني
وعاتني لان الكسر ثقيل والفعل ثقيل ولا يجتمع ثقلان - ما أطف وأبدع
هذا التعليل وما اثبتته على محك النظر - فان قلت لهم ولماذا كسرتم آخره في مثل
قولكم « انظري في الامر أولا يا هند ثم عاتني ما شئت أو من شئت » قالوا
لك الباء هنا ضمير رفع والفعل يتحد مع ضمير الرفع فيصير معه كالكلمة
الواحدة اذن قالوا في آخر انظري وعاتني أصبحت آخرأ وأصبحت الراء والباء
حشواً ولا يمتنع كسر حرف هجاء الفعل الواقع حشواً كقولنا : قُتِلَ ونُظِرَ
وعُوتِبَ . فان قلت لهم لماذا ألحقتموها آخر المضارع المتصل بواو الجماعة كقولنا